

المصطلح (الماهية والضوابط والعلم)

Term (concept, controls and science)

سلى معلم

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، malemel@gmail.com

د. هدى بن عزيزة

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، Houdameg21@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/03/29

تاريخ القبول: 2024/03/24

تاريخ الاستلام: 2024/03/22

ملخص:

استأثر المصطلح باهتمام الباحثين والدارسين على اختلاف بحوثهم وتخصصاتهم؛ وذلك ما يؤول بالدرجة الأولى إلى أهميته القصوى باعتباره أداة إجرائية أساسية في مجال البحوث المعرفية بصفة عامة، والعلمية منها بصفة خاصة إذ تُجمع جل الدراسات على مدى أهميته، حيث ترى أن المصطلحات مفاتيح العلوم وهويتها ونواة وجودها، فلا سبيل إلى وجود أي علم إلا بوجود مصطلحاته، وما من شك أن فهم أي علم قائم على فهم مصطلحاته الحاملة لمبادئه وأفكاره. وحيث كان الدور الذي يؤديه المصطلح على هذا القدر من الأهمية، عرف العالم ظهور العديد من المؤسسات والهيئات العلمية المنظمة، التي جعلت من المصطلح موضوع بحث لها، وقد كان التوضيح العلمي لشروطه ومعايير، ومكوناته، من أهم المساعي الأولية التي تم التركيز عليها والبحث فيها.

على هذا الأساس ركزنا في هذه الدراسة، على تبين ماهية المصطلح وتوضيح مكوناته، وأبرز شروطه ومعايير، والوقوف على علمه.

كلمات مفتاحية: المصطلح، علم المصطلح، الأسس والمعايير، الماهية.

Abstract: The term has received the attention of researchers and scholars regardless of their research and specialization, and this is primarily due to its utmost importance as a basic procedural tool in the field of cognitive research in general, and scientific research in particular, as most studies agree on the extent of its importance. Since you see that terms are the key to science, its identity, and the nucleus of its existence, There is no doubt that understanding any science is

based on understanding its terms that carry its ideas. Since the role played by the term was so important, the world witnessed the emergence of many organized scientific institutions and bodies, which made the term a subject of research for them, and the scientific clarification of its conditions, standards, and components was one of the primary endeavors that were focused on and researched.

On this basis, we focused in this study on clarifying the nature of the term, clarifying its component, its most prominent condition and criteria, and understanding its science.

Key words: term, terminology, foundation and standards, essence.

المؤلف المرسل: سلمى معلم. الإيميل: malemsel@gmail.com

1 - مقدمة:

عرفت دراسات الكثير من الباحثين في زماننا الحالي مواضيع بحثية جديدة، أخذت قسطا كبيرا من وقتهم واهتماماتهم، وقد اتّسمت أغلب تلك المواضيع بسمّة التعقيد، لا سيما منها ما تعود إلى البحوث الغربية نشأتها. ويمثل المصطلح وبعض قضاياها المتصلة به أحد أهم هذه المواضيع المطروحة، التي لقيت اهتماما كبيرا تطور شيئا فشيئا، ليصبح الاهتمام والبحث عن المصطلح وكل ما يتعلق به، من شأن علماء وباحثي علم المصطلح، فقد أفرد للمصطلح علم مستقل بذاته، خاصة بعدما لوحظ أن المصطلح أحد الدعائم الأساسية، التي تُتمم علمية أي علم بالإضافة إلى موضوع ذلك العلم ومنهج بحثه.

غير أن الإشكال الذي ربما يطرح نفسه على الباحث هو: ما هو المصطلح وما هي ضوابطه ومكوناته؟ وماهي وظيفة الباحثين في علم المصطلح؟ ومن هذا المنطلق كان العمل على تحديد ماهية المصطلح وتبين مكوناته وضوابطه، والوقوف على علمه أهم ما سعت إليه هذه الدراسة.

2 - تعريف المصطلح:

أ. مدلوله اللغوي:

يؤول المدلول اللغوي لكلمة "مصطلح" في المعاجم اللغوية العربية إلى الجذر الثلاثي:
"ص - ل - ح".

جاء في معجم العين: "صلح: الصلاح نقيض الطّلاح . ورجل صالح في نفسه ومُصلح في أعماله وأموره. والصلُّح: تصالح القوم بينهم"¹. وألفينا صاحب المقاييس هو الآخر يرى أن: الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد. يقال صلَّح الشيء يصلح صلاحاً...² ويقال أيضاً: "أصلح أتى بالصلاح وهو الخير والصّواب وفي الأمر مصلحة أي خير والجمع المصالح وصالحه صلاحاً من باب قاتل والصلِّح اسم منه وهو التوفيق ومنه صلُّح الحُدَيْبِيَّة وأصلحت بين القوم وفقت..."³.

فما نتبينه من معاجمنا التراثية هو اتفاق مؤلّفها على تحميل مادة "ص- ل- ح" وكل مشتقاتها معنى السِّلْم، والصلُّح، والاتفاق وكل ما هو ضدّ الفساد.

كذلك هو الحال بالنسبة لبعض معاجمنا الحديثة، كمعجم الوسيط مثلاً، الذي ورد في ثناياه أنّ الصُّلح نقيض الفساد وخلافه، إلّا أنّ ما أضيف في هذا المعجم -كشيء جديد - هو الربط بين المصطلح والعلم حيث ورد أن الاصطلاح: مصدر⁴ اصطلاح...اتّفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكلّ علم مصطلحاته.

ب . مدلوله الاصطلاحي:

وقبل أن نتطرق إلى ما ورد عند باحثينا المحدثين، نود أن نشير إلى أن بعض الباحثين يرون أن العرب قديماً لم يفرقوا بين كلمة "مصطلح" وكلمة "اصطلاح" وحسب البعض الآخر فقد كانت لفظة الاصطلاح الأكثر شيوعاً.

وهذا الأمر هو ما وجدناه في كتاب التعريفات الذي يرى صاحبه بأنّ "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما. وقيل الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى وقيل الاصطلاح: لفظ معيّن بين قوم معيّنين"⁵.

أما ما يُتداول في أغلب أدبيات المحدثين هو: كلمة "المصطلح" وهو عندهم: "لفظ موضوعي يؤدي معنى معيناً بوضوح ودقة بحيث لا يقع لبس في ذهن القارئ أو السامع"⁶، أي أن

المصطلح: لفظ يوضع للدلالة على معنى محدد، دقيق واضح، من شأنه أن يؤدي الفهم،
ويزيح اللبس عن ذهن المتلقي.

كذلك فقد وجدنا أن "الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية مفهوم مفرد أو عبارة
مركبة استقر معناها أو بالأحرى استخدامها وحدد في وضوح، فهو تعبير خاص ضيق في
دلالاته المتخصصة وواضح إلى أقصى درجة ممكنة وله ما يقابله في اللغات الأخرى، يرد
دائما في سياق النظام الخاص بمصطلحاته فرع محدد فيحقق بذلك وضوحه
الضروري"⁷. وما يضيفه هذا التحديد هو أن المصطلح نوعان: مفرد ومركب، وكذلك فإنه
يؤكد على ضرورة أن يكون المصطلح واضحا ودقيقا إلى أقصى درجة.

ومما سبق ذكره يمكن القول إن: المصطلح: لفظ مفرد أو مركب، يستعمل للدلالة على
مفهوم معين دقيق وواضح، ويحصل ذلك عبر اتفاق جماعة لسانية أو لغوية ما على ذلك.
ج/ أركان المصطلح:

يتكون المصطلح من مجموعة من العناصر أو الأركان وقد حددت فيما يلي :

- المفهوم: يمثل المفهوم العنصر الأساس الذي يشكل المصطلح "وهو عند فيلبر (FELBER)
عبارة عن بناء عقلي، فكري متسق من شيء معين- فهو بإيجاز- الصورة الذهنية لشيء
معين موجود في العالم الخارجي أو الداخلي ..."⁸ ، ويتشكل المفهوم عبر تنظيم الخصائص
الموضوعية التي تتمثل في ذهن المصطلحي، فيعطيها صورة مجردة، وعلى أساس ذلك
تحدد العلاقات المفهومية داخل النسق المعرفي، الذي يؤطر الشبكة المفهومية للعلم
المعني؛ فالمفهوم هو، ذلك الجانب الذهني المجرد للمصطلح، وهو النواة الأساسية التي
ينطلق منها المصطلحي في وضع أي مصطلح.

- التعريف: ركز علماء المصطلحية على تبين أهمية "أن يكون للمصطلح معنى محدد لا
يلتبس بمعنى أي مصطلح آخر في حقله، وقد أعطوا أهمية كبيرة للتعريف ويقصدون به:
الوصف اللفظي لتصور ما يسمح بالتفريق بينه وبين تصورات أخرى...والتعريف كما ورد
في مصنفات المناطقة والفقهاء و اللغويين هو مجموع الصفات التي تكوّن مفهوم الشيء

وتميّزه عما عداه"⁹. فمن خلال التعريف تزاخ إشكالات الالتباس بين مفاهيم المصطلحات، فهو ما يمثل بالنسبة للباحث أداة الفهم والإفهام.

- التسمية: ويتجلى هذا العنصر في "مجموع الأصوات التي يتكون منها لفظه"¹⁰، حيث يشكل هذا العنصر الجانب الصوري للمصطلح.

تبين هذه العناصر أن المصطلح ذو طبيعة لسانية يبررها جانبه الذهني المجرد المتمثل في المفهوم، وجانبه المادي (تسميته) الذي يتكون من أصوات، وهذا الأمر هو بالتحديد ما يطابق ثنائية العلامة اللسانية (الدال والمدلول) التي وضعها اللساني دو سوسور، ووضوحها ضمن ثنائياته التقابلية، إذ إن المصطلح، أولاً وقبل كشيء، دليل لغوي.

وللمصطلح أهمية كبيرة؛ وذلك باعتباره أداة إجرائية أساسية في مجال البحوث المعرفية، إذ يرافق نشأتها ويكون مرتبطاً بمختلف مراحل تطورها، ولذلك فإن أول مرحلة يعتمد عليها القارئ الباحث، في أي مجال معرفي هي تمييز مصطلحاته وفهمها؛ حيث يعبر المصطلح عن مبادئ وتصورات نظرية تم الاتفاق عليها وتحديدها بمفاهيم محددة، ومما لا شك فيه أن ذلك ما يتيح له فك الغموض الذي تخلفه البينية التي تطرح نفسها بين المعارف المتداخلة، وهذا ما يدل على البعد الدينامي للمصطلح، إذ تكشف متطلبات ومكينزمات العصر الراهن - مثلاً - على أهمية ذلك البعد الذي يرتبط بالبعد الاجتماعي؛ حيث يقوم المصطلح بتنظيم وإيصال الرسالة الكبيرة التي تتمخض عن التطور العلمي والتكنولوجي اليومي. وذلك ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بوسائل الإعلام والاتصال.

وحيث كان الدور الذي يؤديه المصطلح على هذا القدر من الأهمية، عرف العالم ظهور العديد من المؤسسات والهيئات، التي جعلت من المصطلح موضوع بحث لها، وذلك ما يندرج تحت ما يعرف بعلم المصطلح.

3 - علم المصطلح:

أ- تعريفه:

عُرّف علم المصطلح "بأنه العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والألفاظ اللغوية التي يعبر عنها . فكل نشاط إنساني وكلّ حقل من حقول المعرفة البشرية يتوفر على مجموعة كبيرة من المفاهيم التي ترتبط فيما بينها داخل الحقل الدلالي الواحد على هيئة نظام متكامل ويكون على علاقات بمفاهيم الحقول الأخرى كما يتوفر كل حقل على مجموعة كبيرة من المصطلحات التي تعبر عن مفاهيمه لغويا"¹¹ ، فماهية علم المصطلح مرتبطة أساسا، بموضوع بحثه المتمثل في ربط المفاهيم العلمية بألفاظها، فهو الذي يفسر العلاقة بين عناصر المصطلح تفسيرا دقيقا.

وكذلك يعرّف علم المصطلح "بأنه دراسة الألفاظ الخاصة بالعلوم والتقنيات بتجميعها ورصدها وتحليلها ووضع بعضها عند الاقتضاء"¹²؛ والواضح أن البحث داخل هذا العلم يجمع بين عدة تقنيات وعمليات تتمثل في: الجمع والرصد والتحليل والوضع، وذلك ما يتم الانتهاء إليه بعد كل تلك العمليات، ويتم الاعتماد فيه على عدة آليات فنجد من بينها - في اللغة العربية مثلا - التوليد، والاشتقاق، والاقتراض، والتعريب، والترجمة.

فمجال البحث في علم المصطلح مجال واسع جدا، ويمكن توضيح بعض مباحثه في ثلاثة عناصر أساسية متصلة بالبحث العلمي وهي:¹³

أولا: يبحث علم المصطلحات في العلاقة بين المفاهيم المتداخلة (الجنس - النوع، والكل - الجزء)، والتي تمثل في صورة أنظمة المفاهيم التي تشكل الأساس في وضع المصطلحات المصنفة التي تعبر عنها في علم من العلوم.

ثانيا: يبحث علم المصطلحات في المصطلحات اللغوية والعلاقات القائمة بينها، ووسائل وضعها، وأنظمة تمثيلها في بنية علم من العلوم .

ثالثا: البحث في الطرق العامة المؤدية إلى خلق اللغة العلمية والتقنية بصرف النظر عن التطبيقات العملية في لغة طبيعية بذاتها ...

ومن أهم النتائج التي توصل إليها المهتمون بقضايا علم المصطلح، هو حديثهم عن وجود فرعين رئيسيين لهذا العلم، وذلك ما توصل إليه الباحث النمساوي فوستر حيث "قسّم ...علم المصطلح إلى عام وخاص، فعلم المصطلح العام يهتم بالقضايا المنهجية العامة [التي ترتبط بلغة محايدة أو موضوع معيّن] كوصف المفاهيم وتحديد طبيعتها وخصائصها وعلاقتها ونظمها... وكذا طبيعة المصطلحات ومكوناتها وعلاقتها، وتوحيد المصطلحات وتدوينها، ومناهج إعداد معاجم المصطلحات إلى غيره، أما علم المصطلح الخاص فهو الذي يهتم بالقواعد الخاصة بالمصطلحات في لغة معينة، مثل اللغة العربية أو اللغة الفرنسية"¹⁴، فالبحث في علم المصطلح العام شامل لجميع القضايا، والجزئيات التي تخص المصطلح وتحيط به، أما علم المصطلح الخاص فيتميز بانغلاقه على دراسة لغة محددة قصد استنتاج قواعدها الخاصة بوضع المصطلحات.

ويبدو أن التقنيات المعتمدة في علم المصطلح هي ما جعلته يحتك بعلوم أخرى مساعدة، فهو "ليس علما مستقلا عن سواه من العلوم، بل علم متاخم لجملة من الحقول المعرفية الأخرى؛ حيث يقع في مفترق علوم شتى: كعلم الدلالة (sémantique)، وعلم تطور دلالات الألفاظ (sémasiologie)، وعلم المعاجم (lexicologie)، وعلم التّأثيل أو التأصيل (etymologie)، وعلم التصنيف (classologie)..."¹⁵؛ حيث يساعده علم الدلالة، مثلا، في صياغة مدلول المصطلح صياغة علمية دقيقة، ومن خلال علم تطور دلالات الألفاظ يتمكن المصطلحي من معرفة أهم التطورات الدلالية التي مرّ بها مصطلح ما، وغير ذلك من الخدمات التي يستفيد منها علم المصطلح من بقية تلك العلوم.

لكن ما هو ملاحظ على كل هذه العلوم بما فيها علم المصطلح، هو أنها علوم منبثقة عن اللسانيات في شقها التطبيقي (اللسانيات التطبيقية)، الذي يهتم بمعالجة مختلف المشاكل الاجتماعية اللغوية التي تواجه مستعمل اللغة، فعلى المستوى الاصطلاحي - مثلا - نلاحظ

أن حياة مستعمل اللغة تتميز بطبيعة التغير والتطور الاصطلاحي بشكل دائم، على مستوى مجالات عدة؛ ثقافية، اجتماعية، دينية، اقتصادية ..، ولذلك فعلى المصطلحي العمل على ضبط وتحديد ووضع المصطلحات المناسبة التي تواكب ذلك التغير والتطور. فالعلاقة بين علم المصطلح واللسانيات، متوالية تحكمها ثلاث حلقات توضّح لنا جانبا من تطور البحث اللساني، بداية باللسانيات العامة، ومرورا بجانبها التطبيقي، أي اللسانيات التطبيقية، ووصولاً إلى علم المصطلح الذي يعكس أحد الوجوه الأساسية من نشاط البحث اللساني التطبيقي، وبالإضافة إلى انطلاق علم المصطلح من علم اللسان، فإن أكثر ما يوضح لنا بصورة جلية، ترابط هذين العلمين هو: احتكاك وتداخل بعض جوانب البحث في علم المصطلح مع فروع اللسانيات التطبيقية كعلم الدلالة، واشتراكها في أهم الأدوات الإجرائية ألا وهي اللغة (مفرداتها، ومفاهيمها).

وما يجب أن نشير إليه في هذا السياق هو أن: كلمة (علم المصطلح) ترجمة لكلمة (terminologie) ويشير بعض الباحثين "اعتماداً على قاموس (لاروس الكبير) إلى أن اللغة الفرنسية قد ركبت هذه الكلمة من كلمتين اثنتين هما: (Termino)، المشتقة من اللاتينية (Terminus)، بمعنى عبارة "Expression" و(logie)، المشتقة من الإغريقية، (logos) بمعنى خطاباً "Discours" أو علم "science". للدلالة - حسب (Larousse) دائماً- أول مرة (عام 1801 لدى مرسى) على تعسف المصطلحات المدرسية (abus des termes scolastiques) ثم استعملت عام 1971 بمعنى "بنك الكلمات" (la banque des mots).¹⁶ ومن هنا فإن هذه الكلمة قد أصبحت تدل على (علم المصطلح) تارة، وتارة أخرى تستعمل للدلالة على مجموع المصطلحات الموظفة في حقل معرفي معين، غير أن الشائع المتداول على ألسنة الباحثين هو كلمة: علم المصطلح.

ب - نشأة علم المصطلح وتطوره:

تعود نشأة علم المصطلح إلى الدراسات الغربية، فقد كان لهم السبق في بعث هذا العلم والإحاطة بكل تفاصيله، ويبدو أن أهم العوامل التي ساعدتهم على النهوض بهذا العلم، هو ما حملته التطور الحضاري والتكنولوجي - الذي شهدته معظم الدول الغربية - من مصطلحات جديدة شملت مختلف مجالات الحياة، إذ "مع التطور الهائل في العلوم والتكنولوجيا، والنمو السريع في التعاون الدولي في الصناعة والتجارة والإقدام على استخدام الحاسبات الآلية في خزن المصطلحات ومعالجتها وتنسيقها لم تعد الطريقة القديمة في جمع المصطلحات وترتيبها ألفبائياً ووضع مقابلاتها في اللغات الأخرى تفي بالحاجات المعاصرة، ولهذا طور العلماء المختصون واللغويون المعجميون والمناطقية، علماً جديداً أطلق عليه اسم علم المصطلحات"¹⁷؛ فقد كان السعي إلى تجاوز ذلك العمل المصطلحي التقليدي الذي لم يعد بوسعه سدّ حاجياتهم، من جهة، والبحث عن بديل منظم وأكثر علمية، إذ من شأنه التعامل مع ذلك الزخم الكبير من المصطلحات، من جهة أخرى، هو ما أذن لعلم المصطلح بالظهور، وقد ظهر "في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي على يد المفكر الألماني "كريستيان كونفريد شوتر" (1797 - 1832)، ولكنه لم يأخذ طابعه النسقي على صعيد التسمية استناداً لآلان راي (1974) إلا مع المفكر الإنجليزي "وليام" (1887) حيث عرف مصطلحات التاريخ الطبيعي بأنها نسق المصطلحات في وصف موضوعات التاريخ الطبيعي"¹⁸.

فبداية البحث في علم المصطلح، قد مهّدت لها بعض الأعمال الفردية التي انشغلت بدراسة المصطلحات، وقد بلغت تلك الأعمال ذروتها مع العالم النمساوي أوجن فيستر، "الذي استطاع أن يتم أعماله سابقه؛ فقد بقيت محاولاتهم محدودة شكلاً ومضموناً، ولم يكتب لعلم المصطلح صفته العلمية وأسسها النظرية إلا حديثاً على يد هذا العالم النمساوي، وقد كان ذلك انطلاقة من رسالته الجامعية الشهيرة التي ناقشها بجامعة

فينا ونشرها عام 1931 حول التوحيد الدولي للمصطلحات في مجال الهندسة الكهربائية¹⁹.

ولم تقتصر البحوث الغربية لعلم المصطلح على هذه الأعمال الفردية، حيث إن الأهمية أو الدور الفعال الذي تحتله الدراسة المصطلحية عند الغرب، قد ساهم في انتقال البحث المصطلحي، من طابعه الفردي إلى طابعه الجماعي، حيث أقيمت له العديد من المؤسسات والهيئات التي اختصت بدراسة المصطلح: كالفيدرالية الدولية للجمعيات الوطنية للتقييس (ISA) international federerastion of national standarzing association التي أنشأت سنة (1936) بتأشير من فوستر، وأسهمت فيها كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا.

عرف الوطن العربي كذلك، بحوث علمية جادة في علم المصطلح، وهذا ما ارتبط بالمجامع اللغوية ومن بينها: مجمع دمشق (1919)، ومجمع الأردن (1923) ومجمع القاهرة (1932)، ومجمع بغداد (1947)، ومجمع الجزائر 1986 الذي كان يترأسه عبد الرحمن حاج صالح. وكذلك اتحاد المجامع العربية (1970) الذي أسس قصد تنظيم أعمال كل المجامع وخلق الاتصال بينها، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط (1969).

نشير في هذا السياق إلى أن للدراسة المصطلحية في الوطن العربي جهود جماعية وأخرى فردية، وتتمثل الأولى في المجامع اللغوية ومكتب تنسيق التعريب، وغير ذلك من المؤسسات المختلفة التي تهتم بأبحاثها بقضايا المصطلح، حيث " تُجري المجامع اللغوية في القاهرة وبغداد ودمشق أبحاثا في أسس وضع المصطلحات العلمية والتقنية في اللغة العربية، وفي عام 1969 أناطت جامعة الدول العربية مهمة تنسيق المصطلحات في الوطن العربي بمكتب تنسيق التعريب بالرباط، الذي شجع الأبحاث اللغوية والمعجمية والدراسات المتعلقة بمشكلات المصطلحات العلمية والتقنية. باللغة العربية ونشر عددا

غفيرا منها بمجلته الحولية (اللسان العربي) كما نظم المكتب ندوات ومؤتمرات للتعريب حسب خطة هادفة لاستكمال المصطلحات العربية في العلوم والتكنولوجيا وتوحيدها"²⁰، فالهدف هو إيجاد مصطلحات عربية موحدة، أين تكون قادرة على تشكيل لغة البحث العلمي المشتركة التي يفهمها كل الباحثين على اختلاف مناحيمهم.

أما الجهود الفردية فيمكن توضيحها - على سبيل المثال لا الحصر - من خلال أعمال الباحث اللساني الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح، الذي ركز على معالجة قضية المصطلح اللساني عبر اقتراح تقنيات ضبطه، وقد اهتم في خضم ذلك بالمصطلح التراثي؛ فلطالما كان التراث اللغوي العربي الأصيل هو العامل الرئيس، ودون تنازع في ذلك، وراء ظهور أغلب الأعمال اللسانية للنظرية الخليلية الحديثة، فقد انشغل الحاج صالح بنظرية علمائنا الأصيلة التي نسبت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي وعمل على إحيائها وبعثها مرة أخرى من منظور اللغويات الحديثة، وهذا المنظور إنما هو آلياتها وتقنياتها الحديثة، وذلك لا لشيء إنما ليثبت أصالتها ونجاعة كفاءتها التحليلية التجريدية التي سبقت عصرها بكثير، وأهم من ذلك تبني مفاهيمها والعمل على برمجتها ضمن برنامج اللسانيات العربية الحديثة.

فقد حظيت ميادين اللغة (النحوية، والدلالية، والصوتية، والمعجمية)، من طرف علمائنا القدامى بمصطلحات لسانية خاصة، وهو ما انشغل الحاج صالح بتبيينها والدفاع عن أصالتها، فعلى مستوى النحو مثلا عمل على تأكيد أصالة النحو الخليلي بكل مفاهيمه ومصطلحاته التي تعمّد إيرادها في مؤلفاته²¹، وأعطاهما الجزء الكبير من الشرح المفصّل، حتى يدحض بعض الشبهات التي درات حولها، ويؤكد حقيقة أن تلك المصطلحات إنما هي عربية الأصل والنشأة، إذ لا سبيل إلى وجودها في الدراسات الغربية، كمصطلح اللفظة والمثال، ومصطلح الباب، والعامل والمعمولان التي احتوتها نظرية العامل العربية، وغيرها

من المصطلحات النحوية التي كان للعرب السبق في بعثها، ووصفها، والحديث عنها، وتسميتها.

ففي وسط نشأ فيه الوعي بضرورة المحافظة على المصطلح اللساني التراثي، من جهة، في مقابل وضع مصطلحات لسانية عربية جديدة، تعلن صراحة عن مواكبة اللسانيات العربية، للحدثة اللسانية وعدم إعلانها للقطيعة مع مستجداتها، من جهة أخرى، شهدت ساحة اللسانيات العربية العديد من الأعمال الفردية الجبارة التي حملت على عاتقها، مهمة وضع مصطلحات لسانية جديدة، دون تناس منها أو إهمال للمصطلح اللساني التراثي، الذي يحمل في طياته هوية التراث اللغوي العربي القديم.

وبما أن المصطلح يمثل علامة من علامات التطور العلمي والحضاري، فإن مواكبة ذلك التطور هو ما يسعى إليه المصطلحيون العرب، وهذا ما يتضح من خلال وضعهم لمنهجية أو خطة كفيلة للتعامل مع المصطلح، كوضعه وتوحيده كما هو الحال، مثلا، مع المصطلح اللساني.

4- المصطلح اللساني في الدراسات اللسانية العربية الحديثة:

يكتسب أي مصطلح صفة العلميّة انطلاقا من مجاله العلمي الذي ينسب إليه، ويرتبط ظهوره به، وذلك كالمصطلح اللساني الذي ينسب إلى اللسانيات وقد ارتبط ظهوره بميلادها؛ وذلك باعتبار اللسانيات هي العلم الذي يدرس اللسان البشري دراسة علمية، إذ لا بد من مصطلحات خاصة به، تمثله وتميزه عن بقية العلوم الأخرى، لا سيما منها تلك العلوم اللغوية القديمة كالفيولوجيا أو فقه اللغة.

فعلى الرغم من أن موضوع الدراسة واحد، ألا وهو اللغة، إلا أن تركيز الفيولوجيا على اللغة المكتوبة واهتمام اللسانيات بالجانب المنطوق للغة، وكذا اختلاف أسلوب البحث والهدف، يؤدي حتما إلى اختلاف المصطلحات التي تميز كل علم من هذين العلمين عن

الأخر، ومن مصطلحات اللسانيات مثلا تلك الثنائيات المصطلحية، التي وضعها دو سوسور وأصبحت من أهم الدعائم التي تخص علم اللسان؛ كالدال والمدلول، واللسان والكلام، والمحور الاستبدالي والتركيبي وغيرها.

والباحث في موضوع المصطلح اللساني في الدرس اللساني العربي الحديث، يلاحظ تنوعا في مشارب ذلك المصطلح؛ إذ يؤول بعضه إلى ما خلفته لنا بحوث لغويينا القدامى الذين أبدعوا مصطلحات لسانية، تنوعت بتنوع دراستهم لمستويات اللغة المختلفة (النحوية، والصوتية، والدلالية، والمعجمية)، أما البعض الآخر فإنه يعود إلى ما خلفته عملية نقل اللسانيات الغربية إلى البلاد العربية، من مصطلحات لسانية جديدة؛ إذ انشغل بعض الباحثين باللسانيات الغربية و بنقلها وفهم محتواها، والمتمثل أكثره في المصطلحات والمفاهيم.

يعد تنوع أنماط وأصول المصطلح اللساني العربي؛ نتيجة حتمية لتنوع مشارب واتجاهات الدرس اللساني العربي الحديث؛ الذي نجده يدور بين ثلاثة اتجاهات رئيسية؛ اتجاه تراثي يدعو مناصريه إلى التمسك بالتراث وإعلان القطيعة مع كل ما هو حديثي، واتجاه حديثي يرى ممثليه في الحداثة نموذجا كاملا، ما جعلهم يغلقون باب العودة إلى التراث، واتجاه توفيقي نهض على ضرورة التوفيق بين التراث والحداثة وتجاوز الخلافات، من أجل تطوير الدرس اللساني العربي الحديث وتوجيهه نحو الأفضل.

وقد ارتبط ظهور الاتجاه الأخير بما يعرف بمنهجية إعادة قراءة التراث اللغوي العربي وفق منظور حديثي، التي انتحاهها بعض اللسانيين العرب المحدثين، فكان المصطلح اللساني في خضم ذلك ثلاثة أنماط: مصطلح غربي ومصطلح تراثي ومصطلح جديد أصيل، وذلك حيث تكون الأصالة بمفهوم الإبداع.

ويمثل المصطلح اللساني بؤرة البحوث اللسانية العربية، في حقل المصطلح الذي شكل حضوره فوق أرضية تلك البحوث، أكبر وأهم القضايا اللسانية، التي كانت سببا في بروز العديد من الجهود اللسانية العربية الجماعية، التي تمثلها أعمال المجامع اللغوية المتعددة وكذا مكتب تنسيق التعريب، التي تتكفل بحوثها بوضع قرارات وشروط تنظم عملية نقل المصطلح الأجنبي، وكيفيات وضع المقابل العربي. ومن هذه الشروط:²²

- أن يكون المقابل العربي معبرا تعبيرا دقيقا عن المصطلح الأجنبي.
 - أن يكون المقابل العربي معبرا عن الوظيفة التي يدل عليها المصطلح الأجنبي إذا كان النقل الدقيق لألفاظه يخرج به في العربية عن وظيفته.
 - أن يكون المقابل العربي للمصطلح الأجنبي عربيا تراثيا كلما كان ذلك ممكنا.
 - أن يكون المقابل العربي للمصطلح الأجنبي هو المصطلح الأجنبي مع تحوير يجعل له جرسا عربيا، إذا أعيانا وضع المقابل العربي بطريقة من الطرق السابقة.
- ورغم هذه الضوابط والشروط التي يجب أن تراعى أثناء نقل المصطلح الأجنبي إلى اللغة العربية، إلا أن المصطلح اللساني يعيش نوعا من الفوضى في الدراسات اللسانية العربية المعاصرة، وقد تجسدت هذه الفوضى في صورتين أساسيتين: تتمثل الأولى في تعدد المفهوم للمصطلح الواحد، أما الثانية فتتمثل في ترجمة المصطلح اللساني الغربي الواحد بعدة مصطلحات عربية.

يلاحظ ذلك - مثلا - على مصطلح اللسانيات، الذي وضعت له عدة مقابلات عربية، تزيد عن عشرين مصطلحا، وهذه الوضعية المضطربة في التعامل مع المصطلح اللساني الغربي وترجمته، قد طرحت تساؤلات لسانية كثيرة، ولدت ما يعرف بإشكالية المصطلح اللساني التي يعيشها البحث اللساني العربي المعاصر، والتي انتقلت من إشكالية لتصبح من أهم المواضيع اللسانية المطروحة التي تؤرق البحث اللساني العربي. ويمكن إرجاع أسباب

إشكالية المصطلح اللساني بالدرجة الأولى، إلى مزلق الترجمة "فالمصطلح تكون له دلالة معينة في اللغة التي يوضع فيها، فإذا نقل إلى لغة أخرى اختلقت تلك الدلالة لأن الأسماء لا تشمل حقولا دلالية واحدة في سائر اللغات. ولقد كان فردينان دي سوسير على وعي تام بالقضية لما أشار إلى خصوصية المقابلة التي عقدها بين *lanjue/parole*... منها إلى أن هذه المفاهيم ليست لها نفس القيمة في بقية اللغات التي يعرفها"²³.

غير أن الخوض في هذه الإشكالية التي أخذت وقتا كبيرا من البحوث اللسانية العربية، الفردية منها والجماعية؛ جعل البعض الآخر يفسرها بأسباب أخرى، وهناك من يجعلها فيما يلي:²⁴

- حداثة العلم، فاللسانيات ليست هي النحو القديم أو فقه اللغة، ومن ثمة فمصطلحات هذه تختلف جذريا عن مصطلحات تلك، ومصطلحات تلك لا تصلح لهذه.

- تداخل هذا الفرع المعرفي مع مجموعة من العلوم بحكم الموضوع الذي يتناوله والذي هو اللغة.

- اختلاف الينابيع التي ينهل منها المصطلح اللساني ما بين لاتيني؛ أو ألماني؛ أو انجليزي؛ أو غيرها.

- اختلاف المفهوم الواحد بين لسانيين متعددين مثل *phonème* الذي يطرحه مارتيني طرحا يخالف طرح يلمسليف، ويفهمه يلمسليف بطريقة تختلف عن تروبتسكوي، وهكذا دواليك.

نتبين من ذلك أن إشكالية المصطلح اللساني تعود جذورها إلى اللسانيات الغربية التي تشهد تطورا في نظرياتها اللسانية، وما تحمله كل نظرية من مصطلحات خاصة بها تميز لسانيها عن غيرهم؛ وإن كان المصطلح واحد فالمفهوم مختلف بين النظريات وذلك كمصطلح الفونيم مثلا، وقد انتقل هذا الوضع إلى الدرس اللساني العربي الحديث،

بنقلهم لعلم اللسان الغربي، بكل ما يحويه من تصورات، ومصطلحات لسانية مختلفة المرجعيات والآراء.

وأمام إشكالية أو أزمة المصطلح اللساني التي يعاني منها الدرس اللساني العربي الحديث، يدعو الكثير من الباحثين لوضع منهجية كفيلة للتصدي لهذه الأزمة، ولعل أهم ما تحويه المنهجية هو اقتراح حلول مناسبة لتوحيد المصطلح، وهذا ما يصبو إليه القائمون على قضايا المصطلح، حيث اقترحت مجموعة من الحلول، يمكن ذكر بعضها فيما يلي:²⁵

- الإسراع في إنشاء بنك المصطلحات المركزي في الوطن العربي، الذي يقوم مكتب تنسيق التعريب بالرباط بالتخطيط لإنشائه، وذلك للإسراع في عملية تنسيق المصطلحات وتوحيدها في الوطن العربي.

- تشجيع البحوث في النظرية العامة لعلم المصطلحات و النظريات الخاصة للمصطلحات، لدراسة أنظمة المفاهيم في حقول المعرفة المتخصصة، ليسهل وضع المصطلحات المقابلة لها بطريقة علمية منتظمة.

- قيام الجامعات العربية بالتعاون مع مكتب تنسيق التعريب... و المشاركة في الندوات و المؤتمرات التي ينظمها من أجل وحدة الوطن العربي لغويا وعلميا.

ويبدو أن العمل على إيجاد الحلول المناسبة لإشكالية المصطلح اللساني -وغيره- في وطننا العربي، والسعي إلى توحيد بعض المصطلحات اللسانية الوافدة، هو الذي يجب أن يُبحث فيه لعلاج هذا الوضع اللغوي العربي المعاصر، الذي كثرت نقاشات باحثيه ومواضيع العديد من أدبياتهم اللسانية، حول إشكالية المصطلح اللساني.

5 - خاتمة:

نصل من خلال ما سبق ذكره إلى النتائج الآتية:

- يتكون المصطلح من ثلاثة عناصر وهي: (المفهوم، التعريف، التسمية)، إذ يشكل هذا الأخير الجانب الصوري الذي يتخذه المختصون في مجال ما للتعبير عن مفهوم ما، ومما لا شك فيه هو أن توفر التلازم بين الجانب التصوري والجانب الصوري، شرط ضروري في العملية الاصطلاحية.

- يعكس الجانب الاصطلاحي البعد العلمي الذي يميز المعارف الإنسانية على اختلاف مجالاتها، ويعمل وضع المصطلحات وضبطها على تنظيم العلوم وتسهيل عملية فهمها، ومعرفة حدود البيئية في بعض المجالات المتداخلة.

- يعد علم المصطلح من بين الميادين الرئيسة في اللسانيات التطبيقية، وهو علم يُبحث فيه عن الوسائل التقنية الناجعة، والأسس العلمية لوضع المصطلحات، وترجمتها، توحيدها.

- تتشاكل طريقة العمل في علم المصطلح، التي تتمحور حول تصنيف وضبط ووضع المصطلحات، مع عدة علوم أبرزها: علم المعاجم؛ هذا الأخير الذي يعنى الباحثون فيه بدراسة كلمات ومفردات لغة ما، وتصنيفها حسب الأنواع والمجالات والأصول.

- تعد الترجمة من أهم التقنيات التي يعتمد عليها علماء المصطلح لضبط مصطلحات العلوم الغربية، ورغم الدقة التي يسير عليها المصطلحيون نجد بعض المشاكل؛ كتعدد المفهوم للمصطلح الواحد، وترجمة المصطلح الغربي الواحد بعدة مصطلحات عربية، وذلك ما يؤول في الغالب إلى تنوع الأصول الإبستمولوجية للمصطلح الواحد أحيانا.

- يعاني المصطلح اللساني في الدراسات اللسانية العربية الحديثة، نوعا من الفوضى والاضطراب المنهجي، الذي وضع اللسانيين العرب في متاهة إشكالية المصطلح اللساني.

6- هوامش البحث:

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هندواي، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1: 2003م، ص 406.

² - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، ج 3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د/بلد النشر، د/ط، ص 303.

المصطلح (الماهية والضوابط والعلم)

- ³ - أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، معجم المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، د/ط، 1987، ص 132.
- ⁴ - شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، د / بلد نشر، ط 4: 2004م، ص 520.
- ⁵ - علي بن محمد بن علي الجرجاني، كتاب التعريفات، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة جديدة منقحة: 2002، ص 30.
- ⁶ - جيبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط1: 1979، ص 202.
- ⁷ - محمود فهيم حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د / بلد نشر، د / ط، ص 11.
- ⁸ - علي توفيق الحمد، المصطلح العربي شروطه وتوحيده، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد، 02، العدد 01، 2005، ص 02.
- ⁹ - خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، ط 1: 2013، ص 54.
- ¹⁰ - أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية، الكتاب الطبي الجامعي، علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ومعهد الدراسات المصطلحية، فاس - المملكة المغربية، ص 100.
- ¹¹ - علي القاسمي، النظرية العامة والنظرية الخاصة في علم المصطلح، مجلة اللسان العربي، العدد 29، 1987، ص 127.
- ¹² - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 374.
- ¹³ - علي القاسمي، المصطلحية (علم المصطلحات) النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوسيعها، مجلة اللسان العربي، ج 1، المجلد 18، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، الرباط، ص 09.
- ¹⁴ - سليمة بونعيجة راشدي، علم المصطلح وإشكالية الإصلاح اللساني، أعمال ملتقى اللغة العربية والمصطلح، يومي 20-19 مايو 2002، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باجي مختار، عنابة، ص 145.
- ¹⁵ - يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 28. منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 2009:1.
- ¹⁶ - المرجع نفسه، ص 31.
- ¹⁷ - علي القاسمي، المصطلحية (علم المصطلحات)، النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها، ص 09.
- ¹⁸ - يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 30.
- ¹⁹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 30 و 35.
- ²⁰ - علي القاسمي، المصطلحية (علم المصطلحات) النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها، ص 11.

- ²¹ - ينظر للمزيد في هذا السياق: كتاب بحوث ودراسات في اللسانيات العربية بجزئيه (ج1 و ج2) لعبد الرحمن الحاج صالح.
- ²² - ينظر: مصطفى علي الزر كان، الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د/ بلد نشر، د/ ط: 1991، ص 197 و 198.
- ²³ - ينظر: محمد النويري، المصطلح اللساني النقدي بين واقع العلم وهواجس توحيد المصطلح، مجلة علامات، ج 08، م 2، 1993، ص 254.
- ²⁴ - ينظر: عمر أوكان، اللغة والخطاب، ص 97 و 98 و 99.
- ²⁵ - حافظ إسماعيلي علوي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، دار الأمان، الرباط، ط 1: 2009، ص 134 و 135.